المبحث الثاني

خصائص ومشكلات المرحلة التاريخية

تتفاعل سمات وخصائص وخبرات المفكر السياسي مع مكونات وتوجهات المجتمع والنظم السياسية التى يعيش فى ظلها، وذلك فى إطار مشكلات وسمات وقضايا المرحلة التاريخية التى يعاصرها هذا المفكر، حيث تفرض المرحلة التاريخية بعض القضايا والمشكلات التى تصبح فى أولوية اهتمام مفكرى المرحلة، فى حين يتراجع الاهتمام ببعض القضايا الأخرى، وهذا ينطبق على رودنى، فقد عاش فى مرحلة تاريخية شهدت العديد من التغيرات والأحداث والمشكلات على مختلف المستويات والتى كان لها أثرها فى قضايا الفكر السياسي فى هذه المرحلة. لذا سيتناول هذا المبحث تحليل أهم سمات تلك المرحلة على المستوى الدولى فى المطلب الأول، ثم على المستوى الأفريقي فى المطلب الثانى، ثم على دول الكاريبى وموطن رودنى فى المطلب الثالث، وينصب الاهتمام فى هذا المبحث على القضايا والمشكلات التى تتسم بالتأثير المباشر على المجتمعات والتنظيمات التى عاش فى ظلها رودنى والتى يمكن أن يكون لها تأثير فى كتاباته.

المطلب الأول: مشكلات وسمات المرحلة التاريخية

على المستوى الدولى

اشتملت المرحلة التى عاصرها رودنى (١٩٤٢-١٩٨٠) على العديد من التغيرات والقضايا على المستوى الدولى بشكل أثر على النظم السياسية والاقتصادية على مستوى العالم، وكذلك على القضايا الفكرية التى أصبحت محل اهتمام من مفكرى المرحلة، ويمكن القول بأن أهم تلك المؤثرات على الفكر السياسي لوولتر

رودنى من الأحداث على المستوى العالمى هى كالتالى:

أولاً: نهاية الحرب العالمية الثانية وبداية الصراع الأيديولوجى:

فى الوقت الذى كان يتوقع فيه قادة الانتصار فى فرنسا وبريطانيا استمرار نفوذهم وسيطرتهم على دول العالم الثالث بعد احرب العالمية الثانية، شهدت المرحلة العديد من التغيرات التى أدت إلى تراجع نفوذهم لصالح نظام جديد تسيطر على قمته قوتان جديدتان لم تكن لهما تلك الخبرة الاستعمارية، وسرعان ما تحول التحالف بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى إلى صراع سياسي وأيديولوجى يشمل العديد من دول العالم[١]، وبدأ القطبان سياسة الاستقطاب على المستوى الدولى، وتزامن مع هذا الصراع الأيديولوجى بدء انتشار حركات التحرير فى القارة الأفريقية والكاريبي، ومع تزايد أعداد الدول التى حصلت على الاستقلال بدأت سياسة الاستقطاب والصراع تشتد بينهما لضمان ولاءها لأحد القطبين[٢]، ولذا أصبحت دول العالم الثالث ساحة للصراع السياسي والفكرى حتى أنه فى بعض الأحيان تم التدخل فى الشؤون الداخلية لهذه الدول، بل وتجاهل المجتمع الدولى بعض الأعمال الديكتاتورية التى كانت تخالف إعلانات عالمية ومواثيق دولية بسبب توازن القوى فى هذه المرحلة، إلا أن الأيديولوجية الاشتراكية سواء كتوجه للنظام السياسي أو كسبيل للتنمية كان لها قبول فى العديد من دول العالم الثالث أكثر من الرأسمالية؛ لأنها مقبولة لها نفسياً لرفضها كل ما يتعلق بالاستعمار، ورغبة من تلك الدول فى إتمام الاستقلال النفسى والفكرى، ولكن سياسة الاستقطاب والمواجهة بين المعسكرين كان لها عظيم الأثر على القارة الأفريقية[٣].

---

(1) Rupert Lewis: **op.cit.,** p.2.

(2) Michael Clough: **U.S Policy Toward Africa and The End of The Cold War** (New York: Council on Foreign Relations Press, 1992), pp.5-8.

(3) L.H Cann & Peter Duignan: **Africa South of Sahara: The Challenge to Western Security** (California: Hoover Institution Press, 1981) PP.85-98.

وقد نشأ رودنى فى إحدى دول الكاريبي التى كانت مستعمرة بريطانية، وعاصر الاختراق البريطانى للدولة التى عاش بها عندما تدخلت الإدارة البريطانية لمنع الحزب التقدمى الشعبىPPP فى جويانا من تولى السلطة[1]، وكان موضوعه للدكتوراه حول المرحلة الاستعمارية وتجارة الرقيق، وتم طرده من جاميكا نتيجة للتوجه الاشتراكى الذى تبناه، ثم تم وضعه تحت المراقبة من السفارة الأمريكية لعلاقته بكاسترو قائد الثورة الكوبية الاشتراكية[2]، هذا إلى جانب أحداث عدة تُظهر كيف كان للصراع الأيديولوجى على المستوى العالمى الأثر الواضح فى حياة ورؤى رودنى، ولكن كان للرأسمالية أو الدول التى تتبناها الأثر السلبى، فقد كان يؤمن بأن الرأسمالية هى الاستعمار، وأن لها أثراً سلبياً على تاريخ وحاضر ومستقبل الدول الأفريقية، ولذا اختار رودنى الاشتراكية كتوجه يضاد الرأسمالية، وكان فى رأيه أن الرأسمالية مساوية للاستعمار[3].

لقد رفض رودنى الرأسمالية، بل اعتبرها أساس الهيمنة والاستعمار الجديد، واختار الاشتراكية كسبيل للتحرير الذاتى والتنمية فى أفريقيا والكاريبي، وقام بالعديد من الدراسات حول الاشتراكية الزائفة (حسب وصفه) والتى كانت تطبق فى هذه الأقاليم، وكان يؤمن بضرورة وجود البرجوازية والبروليتارية، وأن الصراع بينهما سيقود لإحداث التغيير، حتى لو كان ذلك التغيير من خلال العنف، لذا يمكن القول بأن رودنى تبنى النهج الاشتراكى بما فيه من صراع طبقى وعنف اجتماعى للوصول إلى الاشتراكية العلمية ولكن بشكل أفريقي ووفقاً لمحددات

(1) Rupert Lewis: **op.cit.,** p.2 & 3.

(2) Michael O. West: Walter Rodney & Black Power: Jamaican Intelligence and USA Diplomacy, **African Journal of Criminology and Justice Studies** (Maryland: University of Maryland Eastern Shore, Vol.1, No.2, November 2005), PP.2-4 & 10.

(3) Viola Mattavous Bly: **op.cit.,** p.117 & 123.

وقيم أفريقية[1]، وإن كان هذا التوجه يطرح التساؤل حول مدى رغبة الدول الأفريقية فى تطبيق النموذج الاشتراكى، وهل هناك الإمكانية لتطبيق ذلك، ومدى تناسبه مع البيئة والشخصية والسمات الأفريقية.

ثانياً: نهاية الاستعمار التقليدى:

مع بداية ستينيات القرن العشرين تزايدت وتيرة حركات التحرير على مستوى العالم وخصوصاً فى القارة الأفريقية، وذلك مع بداية عصر الأمم المتحدة ونهاية نظام الانتداب وبدء العمل بنظام الوصاية الذى اعتبره المجتمع الدولى تمهيداً لحصول الدول على الاستقلال. وفى ظل تراجع مكانة الدول الاستعمارية نسبياً، كانت هذه المرحلة بحاجة لبناء فكرى يشكل المنطلق الأساسى لهذه الحركات، ولذا تصدى العديد من المفكرين لإظهار مساوئ الفترة الاستعمارية، وما سببته من تدمير هياكل اجتماعية وكيانات سياسية ونظم اقتصادية كانت سائدة قبل مجىء الغرب، كما حاولوا كشف سياسات الدول الغربية التى تحاول إظهار انتهاء الاستعمار التقليدى شكلياً على أن تظل علاقة التبعية قائمة ومسيطرة، وحاول مفكرو الغرب الترويج لأشكال من التعاون الدولى ومفاهيم سياسية ومشروطيات اقتصادية هى بالأساس أشكال جديدة للاستعمار، كذلك حاول تيار فكرى من الدول النامية التصدى لذلك الشكل من الاستعمار الجديد[2].

وقد قام رودنى بالعديد من الدراسات حول أثر الاستعمار على القارة الأفريقية والكاريبى، وحاول أن يكون جزءاً من لأساس الفكرى لحركات التحرير، لذا قدم دلالته الفكرية على أن الاستعمار أساس تخلف القارة، وأن الاستقلال يتحقق فقط تحت مظلة الاشتراكية[3]، وأكد على صرورة التصدى للاستعمار الجديد، وقدم

(1) Clive Thomas: **op.cit.,** p.5 & 12.
(2) Bonaventure Swai: **op.cit.,** p.40.
(3) Viola Mattavous Bly: **op.cit.,** p.122 & 123. & - David Renton: **op.cit.,** p.151

خطوات فعلية للوصول إلى التحرير الذاتى من التبعية الفكرية والثقافية التى هى أهم أشكال التبعية فى فكر رودنى[1].

كما حاول رودنى تقديم التصورات الفكرية التى يتم من خلالها الاستقلال الذى حصلت عليه الدول الأفريقية، والذى كان يعتبره استقلالاً شكلياً فى العديد من أبعاده، ونبه لأشكال التعاون الحديثة التى يحاول الغرب من خلالها أن يحافظ على تبعية الدول الأفريقية له، وأن تظل الدول الأفريقية المستهلك الاقتصادى، ومجال تطبيق التصورات السياسية الحديثة، ومصدر المواد الخام، وسوق تصريف السلع، ومجال اختبار الأسلحة، وأن لا يسُمح لها بالعودة مرة أخرى للقيم والهياكل والأنساق التى تستمد من الحضارات والثقافات الأفريقية، ولذا يؤكد رودنى على أنها كانت محاولة لاستبدال شكل تقليدى من الاستعمار بأشكال مستحدثة من تلك الأنماط الاستعمارية[2].

ثالثاً: تغير طبيعة العلاقة بين الشمال والجنوب:

مع انتهاء فترة الحرب العالمية الثانية وتراجع شكل الاستعمار التقليدى حاولت الدول الكبرى أن تستبدل بذلك الشكل التقليدى من الاستعمار أشكالاً أخرى تحافظ من خلالها هذه الدول على علاقة التبعية من الدول النامية، لذا تغيرت طبيعة العلاقة من كونها علاقة بين دول كبرى استعمارية ودول أضعف هى مستعمرات لتصبح علاقة بين قطبين، الأول هو الشمال الصناعى المتقدم ذو معدلات النمو المرتفعة ومعدلات النمو السكانى الأقل، وهو الأقل سكاناً، ويستحوذ على النصيب الأكبر من الثروة العالمية، وفى مقابل ذلك هناك الجنوب الأقل نمواً، مصدر المواد الخام، والأقل تصنيعياً، وذو معدلات النمو الأقل، ومعدلات النمو

(1) Alex Dupuy: Race and Class in Postcolonial Caribbean: the Views of Walter Rodney, **Latin America Perspective**, Vol.23, No.2, Spring 1996, P.112.

(2) **Ibid,** p. 111 & - Viola Mattavous Bly: **op.cit.,** p.116 & 126.

السكانى الأعلى، وهو الأكثر سكاناً، ويستحوذ على النصيب الأقل من الثروة. وقد حاول مفكرو الرأسمالية أن يقدموا الأساس الفكرى الذى يخلد تلك العلاقة، وكأن الدول الكبرى رفضت المساواة القانونية التى نتجت فى نهاية الفترة الاستعمارية، وأرادت الحفاظ على علاقة التابع والمتبوع فى علاقتها مع دول القارة الأفريقية[١].

قد أثرت طبيعة العلاقة الجديدة بين الشمال والجنوب فى التصورات التى قدمها رودنى، لذا قام بتحليل أثر تاريخ تلك العلاقة على واقع القارة، وحاول من خلال دراساته أن يظهر المخاطر التى يمكن أن تسببها إذا استمرت على ذات النهج، وتنبأ بسيطرة الرأسمالية عالمياً، ويرى أنه لمواجهة هذه السيطرة الرأسمالية لابد من إدراك ديناميات وآليات هذه الأيديولوجية؛ لأنها «قد تحول العالم إلى نظام واحد يقوم على اتساع العلاقات الرأسمالية»[٢]، ويعول على دور البرجوازية الصغيرة Petit Bourgeoisie التى قبلت دور التابع فى علاقتها بالعالم الغربى كشرط مسُبق وضامن لاستقلال البلاد، ويشير رودنى بالبرجوازية الصغيرة إلى حكام فترة ما بعد الاستعمار الذين سيطروا اقتصادياً، ثم نجحوا فى الدخول إلى السلطة[٣]، وقد دعا رودنى إلى تحرير المثقفين من الفكر الرأسمالى ومن التنظير والبحث فى الرأسمالية معتبراً أن ذلك يكرس هذه العلاقة ويرسخها[٤]، لذا دعا إلى تيار فكرى يحاول أن يعدل من طبيعة تلك العلاقة معتبراً أن الكفاح من أجل تعديل محتواها سيكون أشد ضراوة من الكفاح الذى كان ضد الاستعمار المباشر[٥].

إذن تنوعت الأحداث والمتغيرات التى عاصرها رودنى فى المجتمعات التى

(1) Viola Mattavous Bly: **op.cit.,** p.123 & 124.

(2) Immanuel Wallerstein: Walter Rodney: the Historian as Spokeman for Historical Forces, American Ethnologist (New York: Blackwell Publishing on behalf of the American Anthropological Association, Vol.13, No.2, May1986), p.330 & 331.

(3) Alex Dupuy: **op.cit.,** p.117.

(4) Viola Mattavous Bly: **op.cit.,** p.125 & 126.

(5) Trevor Campbell A.: **op.cit.,** p.58.

عاش فيها، ولكنه حاول أن يتفاعل معها، وكان إنتاجه الفكرى تعبيراً عن تأثره بتلك المرحلة، كذلك حاول أن يستفيد من دراسة تاريخ تلك المجتمعات فى علاج تحديات وانعكاسات التغيير فى النظام الدولى على القارة الأفريقية والكاريبي.

المطلب الثانى: خصائص وسمات المرحلة التاريخية

على المستوى الأفريقي

شهد الواقع الأفريقي العديد من التغيرات والأحداث التى أثارت العديد من التيارات الفكرية، وأثرت فى الإنتاج الفكرى والتنظيرى لمفكرى تلك المرحلة ومنهم رودنى، فقد اهتم الأخير بما يحدث داخل القارة وبتأثير المتغيرات العالمية فى الواقع والمستقبل الأفريقي، ويمكن أن نرصد أهم الأحداث التاريخية على مستوى القارة والتى كان لها تأثير فى فكره كالتالى:

أولاً: حركات التحرير ودور رودنى الفكرى والحركى:

شكلت حركات التحرير فى أفريقيا أساساً فكرياً للعديد من التصورات والرؤى التى حاولت دفع هذه الحركات قدماً، فقد حاولت هذه التيارات أن تشكل الإطار الفكرى والمرجعية التى تنطلق منها حركات التحرير، وحاول البعض الآخر إيجاد مرجعية حضارية يثبت من خلالها أن أفريقيا هى الأسبق على الغرب حضارياً ولابد من استرجاع تلك المكانة، وهذا ما كان ينادى به الشيخ أنتاديوب، فى حين حاول تيار ثالث أن يقابل الاستعمار والعنصرية البيضاء بما يسمى بالوعى الأسود كـ «ستيف بيكو» الذى دعا إلى الوحدة والاندماج على أساس اللون، وهناك تيار رابع يرى أن الوحدة هى الحل فى مواجهة الاستعمار التقليدى وأشكال الاستعمار الجديد[1].

(١) د.صبحى قنصوة: «قضية الهوية وأثرها على الإدراك الأفريقي للعالم العربى»، فى جمعية الدعوة الإسلامية العالمية: ندوة العلاقات العربية الأفريقية (طرابلس: جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ١٩٩٨) ص ص ١٨٤-١٩٠.

قد تأثر رودنى بدور الحركات التحريرية، وشارك فى محاولة إيجاد الأسس والمرجعية الفكرية لهذه الحركات، فقام بدراسة أثر الاستعمار على الاقتصاد والتنمية وعلى التركيب العمرى والتشكيل الطبقى فى المجتمعات الأفريقية، ونبه إلى خطورة الأشكال الجديدة من هذا الاستعمار، ولم يكن موقفه موقف المنظر وحسب، بل شارك فى تنظيم العديد من المؤتمرات واندوات، وسافر إلى العديد من الأماكن التى توجد بها حركات التحرير، وكانت له علاقة بالعديد من قادتها فى القارة وبخاصة أثناء وجوده فى تنزانيا[1]، ولم يكن التحرير والاستقلال فى فكره هو للأرض وحسب، بل نادى بالتحرير من القيم والمعتقدات والأفكار التى غرسها الاستعمار فى الشخصية الأفريقية، وبأن التحرير لابد أن يكون فى التعليم وفى المثقفين لا فى السياسات وحسب، فهو تحرير نفسى وفكرى قبل أن يكون تحريراً للأرض والإقليم[2]، وفى رأيه أن الشعب يستطيع أن يغير تاريخه، وأن الأفارقة يستطيعون ذلك من خلال التنظيم فيما بينهم حتى نتم الاستفادة من دروس الماضى فى تغيير الواقع وجعل المستقبل أفضل[3].

ثانياً: العنصرية فى الجنوب الأفريقي:

من القضايا والأحداث التاريخية المهمة على الصعيد الأفريقي والتى كان لها تأثيرها فى الواقع السياسي والفكرى فى أفريقيا قضية العلاقات الإثنية والعنصرية فى الجنوب الأفريقي، فقد تم إعلاء الولاء الإثني على كافة الولاءات الأخرى، ومارس البيض كافة الحقوق، واعتبروا أن السود لا حقوق لهم، ولا يجب الاختلاط بهم، وتم الفصل بين السود والبيض إقليمياً وفى المواصلات والتعليم وفى الأماكن

(1) Viola Mattavous Bly: **op.cit.,** p.120 & 121.
(2) David Renton: **op.cit.,** p.152 & 153.
(3) Horace Campbell: Philosophy and Praxis: the Life and Work of Walter Rodney, **Paper Presented in AAPS Biennial Congress in Egypt** (Cairo: AAPS Biennial Congress, 2005), p.3.

العامة، بل وتم الفصل بين الجماعات السوداء وبعضها البعض[1]، وتم إصدار العديد من القوانين التى تنظم ذلك الوضع، وإعلان حالة الطوارئ، ووضع الترتيبات الأمنية التى تنظم عمل قوات الأمن ودورها بين الجماعات[2]. وكان لتلك الترتيبات تأثيرها فى الترتيبات السياسية والتنظيمية على مستوى القارة، وكذلك فى التيارات الفكرية التى حاولت إيجاد الحلول الفكرية لذلك الوضع.

وقد حاولت الدول الكبرى أن تقوم بدور فى مناهضة تلك العنصرية وبخاصةً الدول ذات التوجه الاشتراكى، ولكن نتيجة علاقة هذا النظام بالولايات المتحدة ودول استعمارية سابقة فقد ظل على ذات نهجه العنصرى[3]، وحاول ستيف بيكو أن يشكل تياراً فكرياً يضع أسساً لأيديولوجية الوعى الأسود لمناهضة العنصرية البيضاء، وهى أيديولوجية تغييرية أساسها أن يتخلص الأفارقة من الاستعمار نفسياً، وأن يقوموا بمراجعة كافة مجالات حياتهم كسود، وأنهم سيجدون أن التاريخ والدين والعلاقات الاجتماعية والتعليم سيثبت أفضلية السود على ما كان سائداً فى الغرب، ولذا فالوعى بهذا التاريخ عند ستيف بيكو سيساعد فى حل العديد من قضايا الواقع[4].

---

(1) Kristin Henrard: Post Apartheid South's Africa's Democratic Transformation Process: Redress of the Past, Reconciliation, and Unity of Diversity, **The Global Review Of Ethno Politics** (London: Routledge, Vol.1, No.3, March 2002), pp.19-21.

(2) for More Information Look about Aparthied:

- Adriaan Anderson: **Preventative Detention in Pre-and Post Apartheid South Africa: From a Dark Past to a Brighter Future», at :**

http://www.isrcl.org/Papers/2008/Anderson.pdf

(3) John Dugard: Norms in International Relations: The Struggle Against Apartheid, The American Journal of International Law (Washington, D.C.: American Society of International Law, Vol. 91, No.1, January 1997), p.198 & 199.

(4) Charlotte Plantive, **Africa's Biko Appeals to Black Conscience 30 Years after his Death»**, at www.manilatimes.net/national/2007/sept/12/yehey/opinion/20070912opi8.html.

قد عاصر رودنى بعض السياسات العنصرية أثناء وجوده فى تنزانيا، واهتم ببحث تلك القضية فى إطار قضية فكرية أوسع وهى التقسيم الإثنى فى المجتمع، وكيف يطغى على التقسيم الطبقى، ورأى أن العنصرية التى تمت ممارستها فى الجنوب الأفريقي هى امتداد للعنصرية التى كانت تمارس ضد الشعوب السوداء فى العالم الجديد تاريخياً ولها ذات المنطلقات الفكرية وذات النتائج السياسية[1]، وحاول الربط بين العنصرية التى كانت تمارس فى الجنوب الأفريقي مع ما كان يجرى فى موطنه من عنصرية وبخاصة فى ظل التشابه الإثنى الواضح بين المجتمعين[2]، وأدرك الأثر السلبى لتلك الممارسات العنصرية الاستعمارية على السود، وحالة الاغتراب التى يحاول البيض فرضها عليهم، ولذلك حاول أن يتصدى فكرياً لتلك العنصرية البيضاء، وأن يقدم الرؤى الفكرية التى تنهى حالة الإحساس بالدونية عند السود، ويؤكد رودنى أيضاً على أن لعنصرية فى العديد من المجتمعات التى حصلت على الاستقلال تمارس من أقلية سوداء وصلت إلى السلطة (البرجوازية الصغيرة) على شعب أسود لصالح خدمة مصالح رأسمالية عالمية، ويكمن الحل لهذا الوضع فى أنه: «يجب أن نبدأ نحن كسود فى إعادة تقييم أنفسنا كسود وإعادة تعريف العالم من وجهة نظرنا»[3]، وإن رفع مستوى الوعى والوحدة بين الدول من الأدوات المهمة للتصدى لتلك العنصرية إذ يقول: «لابد أن نأخذ شعار النجم الأسود من ماركوس جارفى، ونتعامل مع المجموعات الأخرى فى المجتمع بناء على فهم أننا لنا نفس الحقوق الأساسية، وأنهم ليست لهم ميزة عنا حتى يستغلوننا كما كان سائداً فى فترة تجارة الرقيق»[4].

(1) Alex Dupuy: op.cit., p.108 & 109.
(2) Kristin Henrard: op.cit., p.19
(3) Alex Dupuy: **op.cit.,** p.109 & 113.
(4) **Ibid,** p.113 & 114.

ثالثاً: منظمة الوحدة الأفريقية: التعبير المؤسسى عن تيار فكرى:

من الأحداث التى كان لها تأثير كبير على مستوى القارة الأفريقية تأسيس منظمة الوحدة الأفريقية كخطوة تمهيدية لإعلان الوحدة بين دولها على نحو ما كان يأمل واضعو ميثاق هذه المنظمة، فقد جاءت المنظمة كتعبير مؤسسى عن تيار فكرى تأسس بين أفارقة الشتات وانتقل إلى القارة مع فترة الاستقلال هو تيار الجامعة الأفريقية هذا على جانب، وعلى الجانب الآخر حاول الأفارقة اتخاذ المنظمة كأداة للتصدى للاستعمار الجديد وأشكاله، ولذا خصصت إحدى لجانها لمساعدة المستعمرات وتنسيق جهود المقاومة، وكان لها دور عظيم فى أداء تلك المهمة. وقد كان الهدف من هذا التيار بين أفارقة الشتات هو التخلص من العنصرية، ومحاولة تحسين ظروف الأفارقة الخاصة، ولذا كانت الوحدة هى الحل بالنسبة لهم، ومع أن المنظمة جاءت معبرة عن الحد الأدنى من المأمول بالنسة لذلك التيار، إلا أنها كانت أساساً مؤسسياً يمكن للتيارات الفكرية أن تنظر فى كيفية تطويره فى المستقبل[1].

ومع الاتجاه القائل بأن الوحدة الأفريقية تُستمد من الكفاح المشترك ضد التفرقة العنصرية، وأنها تمثل نمواً عاطفياً بين الجماهير الأفريقية والجماهير التى تقول بأنها من أصل أفريقي، وأن الجامعة الأفريقية هى جهد من أجل توحيد السود فى صراع التحرير والاستقلال[2]، حاول رودنى دراسة هذه الوحدة فكرياً، واعتبر أن الوحدة بين الدول الأفريقية هى من الوسائل والأدوات المهمة لمواجهة تحديات المستقبل، ولكن الوحدة عنده وحدة لونية كحال أغلب مفكرى الوحدة ذوى

(١) أكاديمية ناصر العسكرية العليا: **منظمة الوحدة الأفريقية: الحاضر وتحديات المستقبل** (القاهرة: أكاديمية ناصر العسكرية العليا، مركز الدراسات الاستراتيجية للقوات المسلحة، ١٩٩٧) ص ١٩-٢٣.

(٢) د.عبد الملك عودة: **فكرة الوحدة الأفريقية** (القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٦٦) ص ٢٠.

الأصول الأفريقية[1]، ومع ذلك لم يقدم لرؤى التى يمكن من خلالها تفعيل دور منظمة الوحدة الأفريقية، فقد نظر للوحدة بمعنى أوسع وأشمل من مجرد مؤسسة قائمة.

إذن تعرضت القارة للعديد من المتغيرات والأحداث ذات التأثير فى واقعها ومستقبلها، وأيضاً فى التيارات الفكرية والقضايا التى تقع فى مجال اهتمام هؤلاء المفكرين، ولذا فقد انعكس تأثير تلك الأحداث على القضايا محل اهتمام من وولتر رودنى، وحاول التصدى فكرياً للعديد من المشكلات والتحديات التى تواجه القارة، ووضع ذلك فى إطاره الفكرى لمو جهة ما يعترى علاقة القارة مع الغرب من عدم توازن.

المطلب الثالث: خصائص وسمات المرحلة التاريخية

فى دول الكاريبي

تتشابه منطقة الكاريبى فى الأحداث والتغيرات التى تأثرت بها فى فترة حياة رودنى مع ما حدث فى القارة الأفريقية، فقد تأثرت تلك المنطقة بذات الأحداث على المستوى الدولى، وبنتائج سياسة الاستقطاب دولياً، ولكن يكمن وجه الاختلاف بين المنطقتين فى كيفية تفاعل النخبة الحاكمة فى دول الكاريبي مع هذه الأحداث، وكذلك فى الطريقة التى حاولت بها الجماعة السوداء استغلال هذا الوضع. وقد تأثر رودنى بعدد من الأحداث على المستوى الكاريبي، وبسمات ذلك المجتمع فى هذه الفترة، وحاول أن يتجاوب معها فكرياً. ومن أهم تلك المؤثرات:

أولاً: الثورة الكوبية وعلاقة رودنى بقادتها:

فى الوقت الذى كان رودنى ينُهى تعليمه فى جويانا ويستعد للرحيل إلى جاميكا

(1) د.صبحى قنصوة: م. س. ذ.، ص ٣٤-٦٤.

لاستكمال دراسته الجامعية قام فيدال كاسترو بالثورة فى كوبا سنة ١٩٥٩ معلناً الاشتراكية أيديولوجية وتوجهاً لنظام الحكم فى كوبا، وقام بإقالة نظام الحكم الذى كانت الولايات المتحدة تؤيده بقيادة فيلجينشيو باتيستا Fulgencio Batista[١]، وأصبحت الثورة فى كوبا من المحددات الأساسية للسياسة الخارجية للولايات المتحدة فى منطقة الكاريبي، إذ حاولت الولايات المتحدة عرقلة التوجهات الاشتراكية للنظم أو الناشطين والمفكرين حتى لا تتكرر خبرة كوبا مرة أخرى فى هذه المنطقة[٢]. وعلى الرغم من أن العديد من المحللين والمهتمين بالأحداث فى كوبا يؤكدون ابتعاد كاسترو عن النموذج الاشتراكى الكلاسيكى الذى قُدم من ماركس وإنجلز، وأنه لم يلتزم بالعديد من الوعود التى قدماها حول العدالة الاجتماعية ومنع الاستغلال الطبقى، إلا أن بقاء استقرار النظام فى كوبا ينبُع من شخصية كاسترو الذى قام بدور مهيمن على النظام، فالاستقرار لم يأت من ديناميات الاشتراكية كما قُدمت فى النموذج الفكرى[٣].

قد تأثر رودنى بالثورة الكوبية، وأصبحت له علاقات بالسلطات العليا فى كوبا، وقد زارها عدة مرات على سبيل المثال فى عام ١٩٦٢، وكذلك استقر بها لفترة بعد استبعاده من جامايكا قبل العودة إلى تنزانيا، ويرى أنه: «فى الوقت الذى كانت تتقدم فيه كوبا منذ عام ١٩٥٨ لتصل لبعض النجاح، وأحياناً تفشل، كانت منطقة الكاريبى لاتزال من أهم مناطق الإمبريالية، ويمكن أن ننظر إلى الجزر المجاورة فى

(1) Edward J. McCaughan: **Social Justice in Cuba: Promises and Pitfalls**,pp.1-5, at:
http://lasa.international.pitt.edu/LASA98/McCaughan2.pdf

(2) David Penny: **Castro's Cuba: Ideological Themes in Rhetoric**, pp.282-285, at
http://lanic.utexas.edu/project/asce/pdfs/volume14/penny.pdf

(3) A Socialist Labor Party in Cuba: **Is Cuba Socialist?,** pp.7-10, a
http://www.slp.org/pdf/others/is_cuba.pdf

بورتريكو وهايتى وجاميكا، إلى جانب الجزر الأخرى التى تتحدث الإنجليزية والألمانية والفرنسية، ونضع فى أذهاننا أن مثل تلك الأماكن حتى الآن لم تبدأ فى الكفاح حتى تواجه العديد من المشكلات التى استطاعت كوبا مواجهتها منذ عام ١٩٥٨، ولذلك يمكن أن نقيس الإنجازات الكوبية ليس فقط بالنسبة لما كانت عليه كوبا سابقاً، ولكن بالنسبة لعدم النجاح الذى ندركه عندما نتعامل مع الركود الذى يميز منطقة الكاريبي فى تلك الآونة»[١]، ولذا كان موقف رودنى من الثورة فى كوبا وزياراته المتعددة لها من المحددات الأساسية فى طبيعة توجه حكومة جاميكا ووكالاتها الأمنية نحوه[٢]، وكذلك كان محدداً لموقف الولايات المتحدة وبريطانيا من أنشطته، بل ومن أسباب رفض حكومة جويانا أن يشترك فى التدريس للطلاب فى الجامعة[٣]، وهو يرى أن الثورة الكوبية أعطت دليلاً على إرادة وقدرة الإنسان الأسود على إحداث التغيير وتحدى الهيمنة البيضاء، وأنها من الأمثلة التى يحتذى بها فى الطريقة التى يجب أن يحدث بها التغيير للعلاقة بين الأبيض والأسود.

ثانياً: حركة القوة السوداء وازدهارها مع نشاط رودنى:

شهدت منطقة الكاريبي فى مستهل النصف الثانى من القرن العشرين وحتى منتصف السبعينيات نشاطاً واضحاً لحركة القوة السوداء التى كانت تحاول أن تكمل الكفاح ضد بقايا الممارسات العنصرية التى كانت تمارس ضد السود، وكان من أهم أهدافها أن يمسك السود بزمام أمورهم، وأن تكون الوحدة بينهم هى الهدف الأسمى الذى يسعون إليه، ويربط البعض بين اتساع نشاط تلك الحركة وبين الانتشار التى شهدته حركات التحرير فى أفريقيا، بل ويجعل من الحركة إنعكاساً فكرياً لحركات التحرير، ويجعل من الوحدة الرابط الأساسى بينهما[٤].

---

(1) Nigel Westmaas: **op.cit.,** p.1.
(2) Rupert Lewis: **op.cit.,** p.20.
(3) Michael O. West:Walter Rodney & Black Power....., **op.cit.,** p.6.
(4) for more Information look : =

وقد شارك رودنى فى أنشطة هذه الحركة، وحاول أن يجعل لها شكلاً مؤسسياً وأهدافاً واضحة، لذا قام بتنظيم اجتماع لأعضاء وناشطى تلك الحركة فى ١٣ مايو ١٩٦٨ بجامعة غرب الإنديز، حضره ثلاثمائة ناشط وعضو فى الحركة، وكان أهم مخرجات هذا الاجتماع هو التحديد الدقيق لأهداف هذه الحركة والتى تتمثل فى: خلق الوعى باللون الأسود، وتعبئة الشعوب السوداء حتى تعمل فى صالحها، ورفض الإمبريالية الثقافية البيضاء، وأخيراً التأكيد على أهمية اضطلاع السود بالدور الأساسى فى مجتمعاتهم، وطالب رودنى أيضاً الحاضرين بالمقاطعة التامة للرأسمالية، وأكد على العنف والثورة كأدوات لتغيير واقع ومستقبل الجماعات السوداء[١].

كذلك أكد رودنى على أهمية تلك الحركة، وسعى من خلالها إلى أن يضع أسساً فكرية ونظرية تساعد السود فى القضاء على موروثات الفترة الاستعمارية، وعلى أن ذلك لن يحدث دون امتلاك السود لقوة مساوية لقوة البيض، ولهذا يمكن القول بأن توجه رودنى له طابع لونى، ولكنه لم يكن يهدف لمجتمع متعصب لونياً أو إثنياً، بل كان الهدف هو المساواة بين الجماعات المختلفة التى يتكون منها المجتمع[٢].

ثالثاً: تغير سمات التقسيم الطبقى فى دول الكاريبي:

يوجد العديد من أوجه التشابه بين دول الكاريبي من حيث التقسيم الإثنى السائد بها، حيث إن معظم الدول يشهد تعدداً فى الجماعات الإثنية التى يتكون منها الشعب، بل وتتشابه هذه الدول فى الجماعات الموجودة بها، كذلك يجعل معظم هذه الجماعات الانتماء الإثنى هو الأكثر تأثيراً من أية انتماءات أخرى بشكل يجعل العنف

= Victoria Pasley: **The Black Power Movement in Trinidad**, at http://www.bridgew.edu/SoAS/jiws/fall01/pasley.pdf

(1) Michael O. West: Walter Rodney & Black Power……, **op.cit.,** p17 & 18.

(2) Alex Dupuy: **op.cit.,** p.112 & 113.

من الأدوات التى تستخدم فى إدارة العلاقة بين هذه الجماعات[1]، وقد أدت معطيات العولمة الاقتصادية بعد الحرب العالمية الثانية إلى اتساع الفجوة بين الجماعات فى المجتمع الواحد، بل إن الاختلاف وعدم المساواة أصبح بين أفراد الجماعة وبعضهم البعض، مع الأخذ فى الاعتبار تخصص جماعات بعينها فى أنشطة اقتصادية معينة بشكل يجعل تأثيرات العولمة تخدم أصحاب الثروات على حساب العمال ذوى الدخول المحدودة، مما كان له انعكاساته أيضاً على المجالات السياسية فى صورة عدم المساواة بين الفئات الاجتماعية فى توزيع المناصب السياسية والوظائف فى هيكل الدولة، والوضع الذى مهد لخلق مناخ مناسب لاندلاع الصراعات فيما بين الجماعات، وهذا كان حال جويانا موطن رودنى من حيث التقسيم الإثنى والطبقى[2].

ولا شك فى أن رودنى قد تأثر بالوضع الإثنى فى مجتمعه وما تزامن معه من أحداث اجتماعية وتغيرات اقتصادية، ويمكن التدليل على ذلك من خلال الرؤى التى قدمها عن التقسيم الإثنى والطبقى فى المجتمع، ومن القضايا التى حاول علاجها من خلال ما قدمه فكرياً تفسير احتلال السود وهم الأكثر عدداً فى المجتمعات الكاريبية أدنى المراتب الاجتماعية والمناصب السياسية فى ضوء تلك العلاقات الاجتماعية والتكوينات الإثنية، وحتى الفئة التى أصبحت حاكمة بعد الاستقلال (البرجوازية الصغيرة) أصبحت فى ممارستها وتوجهاتها ممثلة للرأسمالية العالمية، وتستخدم كافة الوسائل للحد من مشاركة فعالة لجماعات إثنية بعينها، إذ يقول: "يعتبر موقفى ليس متفرداً فهو جزء من التضحية واسعة الانتشار فى جويانا،

(1) Chandra Jayawardena: Culture and Ethnicity in Guyana and Fiji, **Man New Series** (London: Royal Anthropological Institute of Great Britain and Ireland, Vol.15, No.3, September 1980), p.430 & 431

(2) Perry Mars: Ethnic Politics, Mediation, and Conflict Resolution: the Guyana Experience, **Journal of Peace Research** (London: Sage publication, Vol.38, No.3, May 2001), pp.353-356

فالحكومة تستخدم سيطرتها على الوظائف بوعى حتى ترهب الشعب...توسع إدارتها الاقتصادية والتأميم لتصبح صاحب العمل الأساسى والمسيطر...وهذا يمثل عائقاً فى سبيل التعبئة السياسية والتعبير السياسي...وحتى يبقى الموقف كما هو...وهذا يوضح أنه من المستحيل أن نأخذ موقفاً سياسياً؛ لأن من يفعل سيصبح دون عمل أو سينفى خارج البلاد»[1].

وقد حاول رودنى من خلال نشاطه الفكرى وطابعه الحركى أن يشكل جزءاً من ديناميات التغيير فى المجتمع الجويانى متخذاً من الاشتراكية والخبرة التاريخية سبلاً إرشادية فى سعيه نحو حشد الجماهير التى ترفض تلك الأوضاع التى تركها الاستعمار، والتى تحاول النخبة الحاكمة الحفاظ عليها فى سبيل البقاء فى السلطة لأطول فترة ممكنة.

فى النهاية، يمكن القول بأن رودنى عاش فى مرحلة تاريخية مهمة تميزت بتعدد مستويات التغيير فى كافة المجتمعات التى عاش فى كنفها، وقد تأثر بما أنتجته تلك التغييرات والأحداث فى المجتمعات، وكان متجاوباً معها من خلال الإنتاج الفكرى والطابع الحركى، وحاول أن يستخدم الدروس المستفادة منها فى تحفيز السود على ضرورة التغيير، واستغلال التغيرات العالمية والتوازنات الدولية فى الخروج عن الموروثات الاستعمارية التى نتجت عن تاريخ علاقة القارة بالغرب.

(1) Trevor Campbell A.: op.cit., pp.57-59.